(24) البراء بن معرور رضي الله عنه

سيد الأنصار وكبيرهم وأحد الذين بايعوا النبى ﷺ عند العقبة، بل هو نقيب بنى سلمة، وهو أول من صلى تجاه الكعبة المشرفة، ويقال أنه أول من أوصى بثلث ماله، وأول من ضرب على يد رسول الله ﷺ مصافحًا ومبايعًا فى بيعة العقبة الثانية.

ذلك هو الصحابى العظيم القدر، المهيب الجليل أبو بشر البراء بن معرور بن صخر.

***

لا نعرف شيئًا عن حياته السابقة قبل الإسلام، وإنما تبدأ قصتنا مع إسلامه حينما سمع عن الإسلام كدين ورساله ومنهج ومبادئ وسلوك وأخلاق، وعن رسول الإسلام كرسول صادق أمين رؤوف رحيم، صفاته تدل على أنه أفضل رجل عرفته البشرية، ومن العبث أن يعادى رجل مثله، ومن الظلم أن يخرج رجل مثله من بلده.

سمع البراء عن الإسلام من خلال وفد من المدينة المنورة قدم مكة المكرمة فعرض رسول الله ﷺ عليهم الإسلام، فعلموا أنه الرسول الذى تتحدث عنه كتب أهل الكتاب، والذى يذكره اليهود بأنه النبى الخاتم، فآمنوا به.

وعندما عادوا إلى بلادهم ذكروا لهم ما سمعوه عن الدين الجديد، فلم تبق دار من دور المدينة المنورة إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ.

وبعد عام كانت بيعة العقبة الأولى، وكان عدد الأنصار اثنا عشر رجلاً، آمنوا وصدقوا وشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين. وكان هو أول سفير فى الإسلام..

وبعد عام من بيعة العقبة الأولى كانت بيعة العقبة الثانية فى السنة الثالثة عشر للنبوة، أى قبل الهجرة بقليل.

لما أراد الله النصر لدينه ونبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، وخروجًا بدعوة الإسلام من مكة إلى ما حولها، ونشرًا بل وانتشارًا للرسالة الحقة الخالدة، جاء إلى المدينة فى موسم الحج مصعب بن عمير رضي الله عنه ومعه بعض أهل المدينة ممن أسلم وجاء ليبايع النبى ﷺ، وفى أثناء السفر كانوا يصلون متجهين إلى بيت المقدس، حيث أن القبلة لم تتحول بعد إلى الكعبة المشرفة، أما البراء بن بعرور رضي الله عنه فقد كان له شأن آخر كان يحس بعظم البيت الحرام، والكعبة المشرفة، ولذلك فقد قال لقومه: يا هؤلاء، إنى قد رأيت رأيًا فلا أدرى أتوافقننى عليه أم لا؟

فقالوا: وما هو؟ قال: قد رأيت ألا أدع هذه البَنيّة - يعنى الكعبة- منى بظهر، ولا استدبرها، ورأيت أن أصلى متجهًا إليها مستقبلاً لها.

فقالوا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام مستقبلاً بيت المقدس، وما نريد أن نخالفه. فقال البراء رضي الله عنه: إنى لمصل إليها. فكانت إذا حضرت الصلاة صلى الجميع إلى بيت المقدس، وصلى البراء إلى الكعبة، حتى قدموا مكة المكرمة، وكانوا قد عابوا على البراء هذه المخالفة، فلما وصلوا أحس البراء رضي الله عنه بما فعله، فقال لأحد إخوانه وهو كعب بن مالك: يا ابن أخى، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ نسأله عما صنعت فى سفرى هذا، فإنه قد وقع فى نفسى منه شئ لِمَا رأيت من خلافكم إيّاى فيه.

فانطلقا يسألان عن رسول الله ﷺ، وكانا لا يعرفانه. فقابلهما رجل سألهما إن كانا يعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟

فأجابه: نعم، لأن العباس رضي الله عنه كان تاجرًا معروفًا. فقال لهما الرجل وهو يشير ناحية المسجد الحرام: إذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس.

فانطلقا حتى دخلا المسجد، فسلما ثم جلسا، وسأله البراء رضي الله عنه: يا نبى الله، إنى قد خرجت فى سفرى هذا، وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنيّة - وأشار إلى الكعبة - منى بظهر، فصليت إليها، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك، حتى وقع فى نفس من ذلك شئ، وخشيت مخالفتك، فماذا ترى يا رسول

الله؟ . فقال له ﷺ : « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» ثم أمره بالصلاة ناحية بيت المقدس . فأطاع البراء رضي الله عنه الأمر . وفى هذا يفتخر الشاعر الأنصارى بقوله :

ومنّا المصلى أول الناس مُقْبلاً على كعبة الرحمن بين المشاعر

***

بعد أيام من هذا اللقاء خرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان تحت جُنح الظلام متسللين نحو العقبة حسب اتفاقهم مع رسول الله ﷺ ؛ليبايعوه، فجاءهم النبى ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وبعد أن أنهى العباس كلامه للقوم ليستوثق منهم للنبى ﷺ منهم، قالوا: تكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن الكريم، ودعا إلى الله تعالى وعبادته، ورغّب فى الإسلام والإلتزام به، ثم بايعهم على :

(1) - السمع والطاعة فى النشاط والكسل .

(2) - النفقة فى العسر واليسر .

(3) - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(4) - ألا تأخذهم فى الله لومة لائم .

(5) - أن ينصروه إذا قدم إليهم، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، ولهم الجنة إن وفّوا بذلك .

وعند ذلك أخذ البراء بن معرور رضي الله عنه بيد النبى ﷺ ، وقال: نعم والذى بعثك بالحق نبيًا لنمنعك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل السلاح، ورثناها كابراً عن كابر[1] .

وبعد انتهاء الحوار والمبايعة طلب الرسول ﷺ منهم أن يُخرجوا منهم اثنى عشر نقيبًا[2] ليكونوا على قومهم . فكان البراء بن معرور نقيب بنى سلمة من الخزرج .

(1) كابراً عن كابر : أبًا عن جد . (2) نقيبًا : كبيراً للقوم .

وبعد أخذ البيعة عاد أهل المدينة إلى مدينتهم، لم يقدّر الله تعالى للبراء بن معرو رضي الله عنه أن يشهد هجرة النبى ﷺ، فقد مات فى شهر صفر قبل الهجرة بشهر. ألمّ[1] به مرض فأوصى أهله وهو يحتضر أن يستقبلوا به الكعبة، وأن يدفنوه إذا مات متجهًا إليها. وبعد وصيته هذه فارق الحياة، ففعل أهله ما أوصاهم به، وعندما قدم النبى ﷺ المدينة مهاجرًا أتى قبره مع أصحابه فصلوا عليه لمكانته الكبرى، ومنزلته العالية، وفضله العظيم، فرضوان الله تعالى عليه.

***

(1) ألمّ: أتاه وأصابه.